

أضواء البيان

@ 209 قالوا { فَلَا يَذُنُّ طُرُقَ أَيَّهَا أَرْكَى طَعَامًا } هم الذين علموا أن لبثهم قد تناول . ولقائل أن يقول : قوله عنهم { رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ } يدل على أنهم لم يحصوا مدة لبثهم . وإنا تعالى أعلم . .

وقد يجاب عن ذلك بأن رد العلم إلى إنا لا ينافي العلم ، بدليل أن إنا أعلم نبيه بمدة لبثهم في قوله : { وَلَبِثْتُمْ فِي كَهْفِهِمْ } ، ثم أمره برد العلم إليه في قوله : { قُلِ اللَّاهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ } . .
وقوله { بَعَثْنَاهُمْ } أي من نومتهم الطويلة . والبعث : التحريك من سكون ، فيشمل بعث النائم والميت ، وغير ذلك . .

وقد بينا في ترجمة هذا الكتاب المبارك : أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يذكر إنا جل وعلا حكمة لشيء في موضع ، ويكون لذلك الشيء حكم آخر مذكورة في مواضع أخرى فإننا نبينها . ومثلنا لذلك ، وذكرنا منه أشياء متعددة في هذا الكتاب المبارك . .

وإذا علمت ذلك فاعلم أنه تعالى هنا في هذه الآية الكريمة بين من حكم بعثهم إظهاره للناس : أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً . وقد بين لذلك حكماً آخر في غير هذا الموضع . .

منها أن يتساءلوا عن مدة لبثهم ، كقوله : { وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ } . .

ومنها إعلام الناس أن البعث حق ، وأن الساعة حق لدلالة قصة أصحاب الكهف على ذلك . وذلك في قوله : { وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عِلِّيِّينَهُمْ لِيَتَعَلَّمُوا أَنْ نَّوَعِدَ اللَّاهُ حَقًّا وَأَنْ نَّالْسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا } . .

واعلم أن قوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة { ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ } الآية لا يدل على أنه لم يكن عالماً بذلك قبل بعثهم ، وإنما علم بعد بعثهم . كما زعمه بعض الكفرة الملاحدة إنا بل هو جل وعلا عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون ، لا يخفى عليه من ذلك شيء . والآيات الدالة على ذلك لا تحصى كثير . .

وقد قدمنا أن من أصرح الأدلة على أنه جل وعلا لا يستفيد بالاختبار والابتلاء علماً جديداً سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً قوله تعالى في آل عمران : { وَلَيَبْتَلِيَنَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّاهُ بِذَاتِ الصُّدُورِ } فقولاه

